American University of Beirut
University Libraries

Donated by
Amin al- Mumayiz

A.U.B Library

حسين العويني

خواطر سياسي

منشورات "الندوة اللبنانية"
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

American University of Beirut
University Libraries

Donated by
Amin al-Mumayiz

A.U.B. LIBRARY
مكتبة أمين الممين
AA-62
AMIN AL-MUMAYIZ LIBRARY
956.9204
A638kA
c.1

خواطر سياسي

محاضرة الرئيس

حسين العويني

القيت في الندوة اللبنانية في ١٤ نيسان ١٩٥٥

•

نص الكلمة التي قدّم بها مؤسس الندوة لمحاضرة الرئيس العويني

« ايها الحفل الكريم ،

من دواعي سرورنا وعزنا ان يعتلي منبر الندوة اللبنانية الليلة رجل يتحلى بصفات انسانية يحببك وجود مثيلاتها عند الناس بالحياة ، فترتاح الى حلاوتها ، وحاكم زرع ، يوم ولي السلطة ، العدل في الرعية ، واشاع ، في نفوس الشعب ، الاطمئنان الى حسن المآل ،

ومواطن مفكر يعايش احداث زمانه بوعي في قلبه وعقله ليتخذ منها عبرة لغد وشريعة لضمير .

هذا الرجل وهذا الحاكم وهذا المواطن المفكر سينثر علينا بعد لحظات بعضاً من خواطره في السياسة اللبنانية داخل الفلك العربي وضمن الاطار الدولي العام .

ومن الطبيعي ان تستغرق هذه الخواطر ، مهما اقتصد فيها ، وقتاً يتجاوز الوقت المحدد تقليداً للمحاضرات العادية . فالحضور الكرام سيندفعون بزخمة هذه الخواطر ليقطعوا ما ينط منها عن الساعة بلذة ومتعة .

فالى خواطر الرئيس حسين العويني ، ايها الحفل الكريم ، وشكراً لدولته على مساهمته الخيرة في حركتنا الثقافية » .

م . ا .

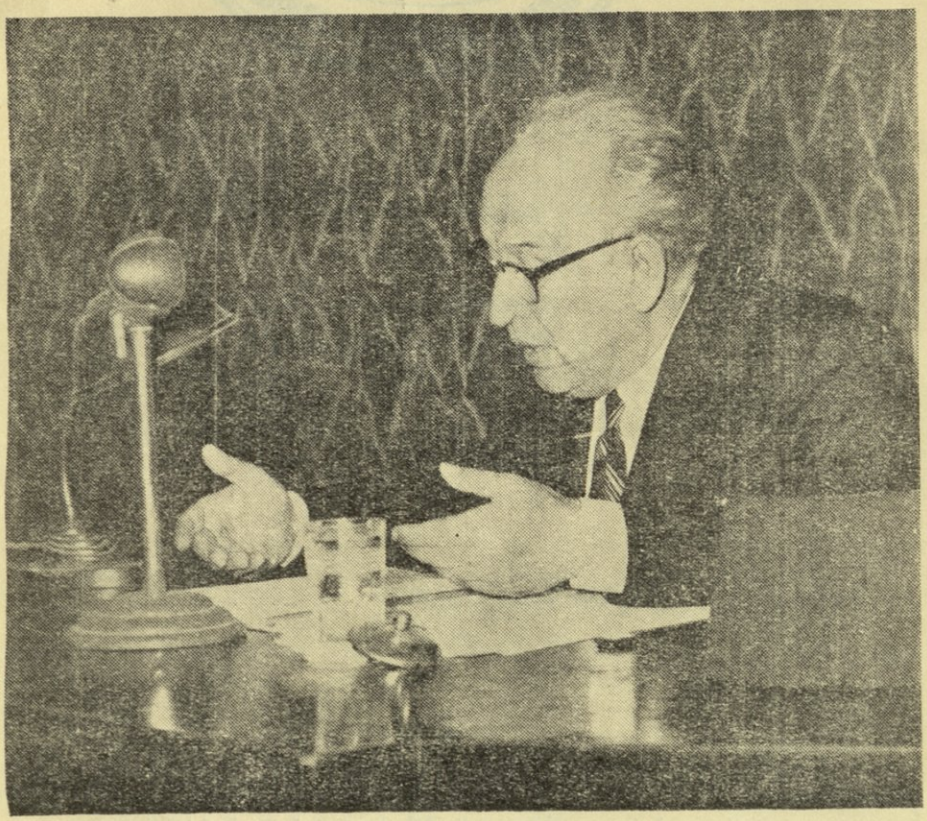

الرئيس حسين العويني على منبر الندوة

•

ايها السيدات والسادة ،

في عام ١٩٥٢ دعاني الصديق الكريم الاستاذ ميشال اسمر للكلام من على هذا المنبر ، ثم تكررت الدعوة عاماً بعد عام ، وكنت في كل مرة اعتذر لاسباب اذكرها له فكان يقبل المعذرة ولا يقتنع بالاسباب ، الى ان كان الثلث الاخير من عام ١٩٥٤ عندما جاءني بابتسامة ناعمة ، شعرت بما فيها من عتب ، وحديث خافت لمست ما يحمل من اصرار ، فادركت معهما ان لا سبيل للاعتذار .

وبعد حديث قصير رجوت منه ان يمهلني قليلاً لكي اتخير الموضوع . وافترقنا هذه المرة وعلى وجهه علائم الرضى والقبول .

ورحت افكر بيني وبين نفسي في ما عساي ان اقول . أأتكلم في الاجتماع ، وللاجتماع رجاله وعلماؤه ، ام اتكلم في الادب وللادب فطاحله واساطينه ، واين

انا من هؤلاء واولئك ؟ ام اتكلم في الاقتصاد وللاقتصاد نواحيه المتعددة وساحاته المختلفة المتشعبة ؟ وبعد تفكـــير طويل قررت ان اتكلم في السياسة ، وقلت في نفسي : تجارة رابحة وبضاعة لا تبور ! ومن هو الذي لا يحسن هذه التجارة في لبنان ؟ انها زادنا اليومي وغذاؤنا الروحي ،ننسى كل شيء ولا ننساها ، وننصرف عن كل شيء ولا ننصرف عنها . اذن فالى السياسة ، فالسياســـة اقرب الطرق واسهلها للوصول الى الهدف ... وليس عليّ من لوم او تثريب ، اذا انا سلكت هذا الطريق .. على ان للكلام في السياسة عند بعض المتكلمين فيها ــ وانا من هؤلاء ــ اعتبارات لا اجيز لنفسي التحلل منها ،ومبادىء اساسية لا ارضى لنفسي ان اغفلها لانني اؤمن بها . انني اؤمن بان ليس لرجل ولي الاحكام ،وتيسر له بحكم منصبه معرفة بعض الحقائق والاسرار ، سواء منها العامة او الخاصة ، ان يجيز لنفسه البوح بها ، والكشف عن دخائلها ــ فهي ملك المنصب الذي تولاه ، وليست ملكـــه الشخصي ــ اللهم الا ان تقضي بذلك ، قضاء لا مرد له ، مصلحة الدولة او سمعة الفرد .

انني اؤمن بهذا المبدأ واعمل به ، ولو خالفت بذلك بعض الساسة المحترفين ، فلهؤلاء دينهم ولي ديني . ولن اقتصر في حديثي على السياسة اللبنانية فحسب ، بل سأذهب الى ابعد من ذلك فاتناول المواضيع التي لها علاقة بالسياسة العربية العامة ، او بعض هذه المواضيع ، فان حقيقتنا او حقيقة واقعنا تحتم على الباحث الذي يريد تقرير حقائق الا ينسى ان فلكنا هو الفلك العربي الذي ندور فيه .

ان طبيعة البحث ، ايها السيدات والسادة ، تقتضينا اتباع سياسة المراحل فيه . وسياسة المراحل هذه تقودنا حتماً الى سبر التاريخ والغوص في اعماقه ، غير اننا ، والموضوع ، « خواطر سياسي » ، سنجنبكم الدخول في التفاصيل لنطلع من الوقائع الراهنة بالعبر التي توحيها .

المرحلة الاولى

والمرحلة الاولى التي نود لو نعيد بعض حوادثها الى اذهانكم تمتد من العام ١٩٠٨ حتى اعلان الحرب العالميه الاولى سنة ١٩١٤ .

١٩٠٨ ... تاريخ اعلان الدستور العثماني ، يعقبه غبطة عند العرب واستبشار

بعهد جديد تهيمن فيه الحرية والمساواة والاخاء بين ابناء الامبراطورية الواحدة . ويندفع رجالات العرب للمساهمة في نشاط حزب الاتحاد، فيتلقون اول صدمة في اندفاعهم هذا اذ يتبين لهم ان الاتحاديين انما يهدون لسياسة قومية اساسها الجامعة الطورانية ، فيتحولون عنهم وينشئون كتلة مستقلة تتعاون مع كل حركة مخلصة جدية فينبثق عن هذا المزيج حزب الائتلاف العثماني المشهور .

ثم تعلن الحرب البلقانية فتؤلف جمعيات عربية عديدة في استانبول نفسها وفي القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد لاحقاق حق العرب وبعثهم من جديد .

والحرب البلقانية هذه اضعفت هيبة الدولة العثمانية فايقظ ذلك المطامع الكامنة في نفس دول اوروبا ونشطت المفاوضات بين ساسة انكلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا فاعادوا على بساط البحث ما يسمونه « المسألة الشرقية » واتفقوا على ان اقتسام « تركة الرجل المريض » قد آن اوانه .

في هذا الخضم من الحوادث ، ارتأى قادة العرب في كل مكان ان النشاطات الموزعة لن يكون نصيبها النجاح وان في جمع الكلمة قوة فتفاوض الزعماء هنا زملاءهم في باريس واتفقوا على عقد مؤتمر عربي عام يعالج شؤون العرب في تلك الغمرة ، مع دعوة اهل الرأي من بني قومهم اليه من كل صوب . وهكذا كان . فلبى القسم الاعظم من الذين دُعوا، دعوة اللجنة التحضيرية الى المؤتمر الذي انعقد في باريس بين ١٨ و٢٣ حزيران سنة ١٩١٣ . وطلع المؤتمرون على الرأي العام بقرارات اذاعوها وبلغوها الى السلطات العثمانية تتضمن ، في ما تتضمن ، الدعوة الى ضرورة تحقيق الاصلاح في المملكة العثمانية على وجه السرعة والى تمتع العرب بحقوقهم السياسية واشتراكهم في الادارة اللامركزية والى اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في الولايات العربية .

ونود لو نشير هنا الى ان المؤتمرين ارادوا ان يستميلوا الى معاضدتهم الدولة الفرنسية فكان لهم اتصالات بالوزير بيشون اطلعوه خلالها على صدق نياتهم ونبل مقاصدهم ونبهوا خاصة الى اتفاق المسلمين والمسيحيين في هذه الحركة المباركة .

اما الحكومة العثمانية فقد قلقت لهذه الاخبار فاوفدت احد اقطابها ـ مدحت شكري ـ الى باريس للاتصال بالمؤتمرين والاتفاق معهم على ما يمكن ان يعتبر حلاً معقولاً لتقريب وجهات النظر . وبعد عودته صدر مرسوم سلطاني في ٣ آب سنة

١٩١٣ فيه التمويه والتضليل لا يثبت حقاً ولا يعد باي خير .

ايها السيدات والسادة ،

من هذه الحوادث التي اعدنا ذكرها الى اذهانكم ، نود لو نعلق عليها بما يلي:

١ ــ كان للجمعيات العربية ولليقظة العربية اثر قوي في تكوين رأي عام عربي يتحسس الكرامة العربية ويتلفت الى ماضي العرب بعد سبات بضع مئات من السنين . ولقد ساعدت الصحف العربية في القاهرة وبيروت ودمشق على الهاب هذا الحس حتى غدا الى حد شعوراً قومياً يطوي في صميمه الماضي والحاضر ويتشوق الى المستقبل .وان ننس لا ننس ما كان للنهضة الادبية الذي انطلق اشعاعها من هنا ، من لبنان ،من اذكاء للتراث الفكري المحيي .

٢ ــ ان دول اوروبا التي ذكرنا وهي تفكر بتركة الرجل المريض لم تعن الا باقتسامها بين بعضها دون النظر الى الحركة العربية الناشئة والى حق العرب في اوطانهم .

٣ ــ ان رجالات العرب الذين اشتغلوا بقضية النهضة العربية جمعت بينهم فكرة واحدة هي فكرة الاستقلال .وللدلالة على ذلك اردد عليكم ما قاله رئيس المؤتمر العربي في باريس مخاطباً الوزير الفرنسي بيشون : « ان الاتحاد والاخاء المستحكمين بين المسلمين والمسيحيين في بلادنا والمصلحة المشتركة التي ندرك قيمتها في مجرى حياتنا مجتمعين ، تقوم كلها برهاناً قاطعاً على اننا نحسن ادارة شؤوننا» . ان هذا الكلام ، ايها السادة ،يدل على مبلغ ما كان سائداً من الفة وود واخاء يحكم اواصرها فهم صحيح لقداسة الجامعة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين .

٤ ــ ان الدولة العثمانية ، بالرغم مما اظهره المواطنون العرب من تفهم لمشاكلها الداخلية ورغبة في عدم مقاومتها عنفاً ، ما اضمرت الخير لهم البتة فكانت في مفاوضاتها معهم تستعمل اللف والدوران والمماحكة والتخدير والالهاء وتسعى لبذر التفرقة والسأم بمختلف الوسائل بغية كسب الوقت وتحين الفرصة للبطش والانتقام والاستغلال .

ويدق نفير الحرب العالمية الاولى ، فنصل الى المرحلة الثانية .

المرحلة الثانية

في هذه الفترة ، تبدأ تجاه العرب ، سياسة اوربا المضللة المقنعة ، هذه السياسة التي لم تنكشف للعرب — ويا للاسف — الا بعد حين طويل ، واخشى ان تكون لم تنكشف بعد .

في هذه المرحلة ، تم اتفاق الحسين — مكماهون ، وفي هذه المرحلة بالذات تم اتفاق سايكس — بيكو . في هذه المرحلة وضع عملياً اساس دولة اليهود في فلسطين ، وفي هذه المرحلة نفسها غدا العرب والحلفاء ... حلفاء واصدقاء .

في هذه المرحلة تعقد الآمال في تحقيق مطالب العرب ، على ثورتهم العاصفة الداميه وضمانة حلفائهم ، وفي هذه المرحلة نفسها يعد الحلفاء العدة في الخفاء لتبديد آمال العرب ، حلفائهم ، وتحطيم هذه الامال .

ففي صيف ١٩١٤ اعلنت الحرب العالمية الاولى ولم تكن الدولة العثمانية على استعداد لخوض غمارها ، ولكن زعماء الاتحاديين ، واكثريتهم من تلاميذ المدرسة الالمانية ، قرروا رغم ذلك ، الاشتراك في الحرب الى جانب الالمان وقد برروا عملهم يومذاك بقولهم انها فرصة لهم لاسترداد ما كانوا قد فقدوه من هيبة في الحرب البلقانية سنة ١٩١٢ وللحؤول دون تنفيذ ما كان يبيت « للرجل المريض » من مصير .

قضي الامر وخاضت الدولة العثمانية غمار الحرب مع المانيا واصبح الاصلاحيون العرب ، المعتدلون منهم والمتطرفون ، كما تعودنا ان نسمي الاحرار الاصلاحيين الجذريين ، تجاه امر واقع شعروا بحراجة موقفهم منه ، فراحوا يفكرون في ما عساهم ان يفعلوا ، واخيراً تغلب رأي المعتدلين ، في مهادنة الدولة وشد ازرها في الحرب ، وللتدليل على حسن نية العرب ، واعني الطليعة المناضلة منهم ، واستنكارهم مبدأ الاستغلال ، اثبت هنا بعض ما جاء في كتاب لاحد رجال الطليعة المرحوم احمد مختار بيهم بعث به الى صديق له في القاهرة بتاريخ ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٢٤ قال :

« لقد اوقفنا احزابنا السياسية ، وتناسينا اختلافاتنا الداخلية ، لان المصلحة المشتركة تقضي الآن بذلك ، وسوف يرى الترك ، ولا سيما الاتحاديون ، من اعمالنا في هذه الحرب ما يظهر لهم اخلاصنا للعرش العثماني وتفانينا في خدمة الوطن المشترك » .

وبينما كان العرب يقررون السير على هذه الخطة ، خطة المهادنة ، كان الاتراك يبيتون للعرب الشر ، فارسلوا سفاحهم الاكبر لتنفيذ مقرراتهم التي تحدثنا عنها في المرحلة الاولى .

واخذ جمال يتودد، في بادىء الامر ، للعرب ويقربهم منه حتى اذا ما استتب له الامر في قيادة الجيش الرابع فرق الضباط العرب ، وبعثرهم في ساحات القتال النائية .

وفي اول صيف سنة ١٩١٥ بعد ان مني جمال بالفشل في حملتـــه على مصر ، فوجىء الناس بنبأ اعتقال السلطة فريقاً من رجالات العرب الاصلاحيين الاحرار وزجها بهم في سجن عاليه ثم محاكمتهم صورياً في المحكمـة العسكرية والحكم عليهم بالموت شنقاً .

لم يأخذ ذلك كله من وقت السفاح اكثر من شهرين ولم يضع جمال الوقت في التفكير .

نعم ، ايها السادة ، ففي صباح يوم ٢١ آب سنة ١٩١٥ استيقظ اهل بيروت ليروا احد عشر رجلاً من خيرة الرجال العرب معلقين باراجيح على اعواد المشانق في ساحة البرج ، التي نعرفها الآن بساحة الشهداء ، تلك الاراجيح التي هي في نظرنا ، اراجيح التضحية والشرف والبطولة .

هذه هي القافلة الاولى من شهداء العرب ولم تكن الاخيرة فلم يحل الحول حتى علق السفاح قافلة اخرى في دمشق وفي بيروت اكثر عدداً وابعد انطلاقاً وكان ذلك في اليوم السادس من نوار سنة ١٩١٦ وهو اليوم الذي تحتفل فيه البـــلاد العربية ومنها لبنان بذكرى الشهداء كما تعلمون .

وقد حكم بالموت على غير هؤلاء ايضاً وعلقوا على اعواد المشانق فرادى ، هذا عدا مئات العائلات التي نفيت الى بلاد الاناضول وغيرها فكان منهم من يقضي نحبه في الطريق الى منفاه ومنهم من يقضي عليه الحراس في هذه الطريق .

ولم يقتصر الامر على الحكم بالموت شنقاً على النخبة العربية في لبنان وغير لبنان التي كانت تفكر تفكيراً سياسياً عربياً ، فقد كان هناك حكم عام بالموت جوعاً ، ومن هنا اعتماد جمال السفاح سياسة التجويع ، خاصة في جبل لبنـــان وفي الساحل .

هذه السياسة التي كنا نعتقد حتى الامس القريب ،ان احداً من العرب ،حاكماً كان او محكوماً ، في كل مكان ولا سيما في دمشق وبيروت وبغداد لن ينساها ابداً.

اضطربت البلاد العربية لما نزل باخوانهم في الشام ولبنان من طغيان وافناء ، وكان فريق من الذين افلتوا من ايدي الطغاة قد لجأ الى مصر والعراق والحجاز فكانت له اليد الطولى في اثارة الرأي العام العربي على الاتراك الغادرين الغلاظ ، وفي زرع فكرة الثورة عليهم للانعتاق من نيرهم والتحرر من سلطانهم ، وهكذا استطيع الجزم بان السبب المباشر لايقاد نار الثورة العربية الكبرى ، كان جمالا السفاح ، وبعد ان شنق جمال القافلة الاولى من احرار العرب ، وفي خلال المحاكمة الصورية للقافلة الثانية منهم في عاليه ، ابرق الحسين بن علي رحمه الله الى انور باشا وكان احد ثلاثة من الاتراك وضعت مهازل القدر بين ايديهم اعنة الامور في مملكة مترامية الاطراف ، يطلب منه اعلان العفو عن المتهمين السياسيين الباقين من العرب في الحال ، واقرار مطالب سورية في النظـــام اللامركزي . فاجابه انور بالبرقية التالية :

« لما كان اعلان العفو عن المتهمين السياسيين وطلب نظام اللامركزية في سورية ، خارجاً عن اختصاص سيادتكم فالاستمرار في هذا الطلب ليس من مصلحتـــكم في شيء » .

ان في هذا الجواب من اللامبالاة ومن الاصرار على المضي في سياسة البغي والغطرسة ما لم يخف على الحسين ، وما اكد له ان هؤلاء الترك غير عـــابئين بالعرب ، وانهم ممعنون في غيهم وضلالهم ، يتحينون الفرص للايقاع به والفتـــك برجالات العرب واحرارهم اجمعين .

وكان الحجاز في ذلك الحين بالنظر للحصار البحري الذي احكم نطاقه عليه جماعة الحلفاء ، يعاني من الضيق الشيء الكثير ، فقد تعطـــل موسم الحج وهو مورده الاول والوحيد ، وركبت الفاقة والمسغبة معظم اهله فكتب الحسين الى الحكومة المركزية يبسط لها حقيقة الحال فلم تتحرك ولعلها بجهلهـــا ، وسوء نيتها ، ولسقم تفكيرها ، رأت في ذلك مصلحة لها فزاد موقف الاتراك هذا في غليـــان الرأي العام العربي .

وبدأت الثورة في الصدور ، تزمجر على مهل ، منتظرة من يفجرها . فيضع القضاء حكم القدر موضع التنفيذ وتبدو واضحة نقطة الانطلاق العربي من جديد الى الاهداف القومية الانسانية العليا .

وتحددت او كادت ، الفروق بين العرب والترك حتى عند الجماهير العربية وهوى عملياً وبشدة اول معول يحفر بين الفريقين الهوة التي ستتسع طبقاً لما يفرضه منطق التاريخ .

وتولى الانكليز باسم الحلفاء مراسلة الحسين يتوددون اليه ، ويتباكون لما يصيب العرب من محنة ، ويزعمون انهم انما خاضوا الحرب في سبيل تحرير الشعوب المستضعفة وانقاذها من الظلم والاضطهاد وضمانة حقها في تقرير مصيرها كما تريد ، وانهم لذلك مستعدون ان يلبوا مطاليبه من اجل العرب بلا قيد ولا شرط ، اذا هو حالفهم ، واعلن الثورة على الاتراك .

وظلت المراسلات تروح وتغدو بين الحسين وبين الانكليز من ١٤ تموز سنة ١٩١٥ الى ١٠ اذار سنة ١٩١٦ حول مطاليب العرب . واذا نحن القينا نظرة فاحصة على ما كان السيد هنري مكماهون ممثل انكلترا يتوج به رسائله الى الحسين رحمه الله ، ظهر لنا مبلغ تودد الانكليز الى الحسين ومبلغ ما كانوا يضعونه من آمال في الثورة العربية على الترك :

« الى الحسيب النسيب ، سلالة الاشراف ، فرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الاحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية ، السيد ابن السيد الشريف ابن الشريف سيد الجميع امير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحط رجال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس اجمعين »...

ولا ننس ان موقف الانكليز هذا كان سنة ١٩١٥ ، اما في سنة ١٩٢٥ فقد كان من نتيجة الحلف ان ابعد الحلفاء الاصدقاء الانكليز الاوفياء حليفهم القديم رحمه الله على دارعة حربية انكليزية الى جزيرة قبرص .

وفي اليوم العاشر من حزيران سنة ١٩١٦ اطلق الحسين من قصر الامارة في مكة رصاصة واحدة على الثكنة العسكرية التركية فيها ، فكانت هذه الرصاصة الاعلان الرسمي للثورة العربية الكبرى على السلطان التركي ، كانت الحركة

جانب من المستمعين العديدين المنتخبين الذين توافدوا الى الندوة اللبنانية للاستماع الى خواطر الرئيس حسين العويني ، ويبدو بينهم من اليمين الى اليسار : السيد كمال جبر ، فمعالي الاستاذين ادوار نون ويوسف سالم والجنرال سليمان نوفل ، فالدكتور جورج حنا .

الارادية العملية ، للشعب العربي بعد مئات السنين ، في الانطلاق من الظلمة الى النور ، ومـــن العبودية الى الحرية .

ولم يحل دون تمتع العرب بما كانوا يطمحون اليه في ثورتهم من تحرر ووحدة واستقلال كانوا قد اخذوا للظفر بها . ومن قبيل الاحتيـــاط ، عهود الانكليز ومواثيقهم مكتوبة ، لا شفوية ، كما مر بنا ، لم يحل دون ذلك الا الذين اعطوا تلك العهود والمواثيق انفسهم . فبينما كان العرب يفون مخلصين قولاً وعملاً ، لحلفائهم ويعتبرون المواثيق والعهود اموراً ملزمة ، تتصل بمعاني الكرامة والشرف ، كان الانكليز يعتبرون المواثيق والعهود قصاصات ورق ويسخرون من هـــذه العهود والمواثيق ولم يخطر للعرب ، وقد كانوا حديثي العهد بسياسة اوربة في القرن العشرين ، انه يمكن للناس بعد ان يتحالفوا بعضهم مع البعض الآخر ، ومن اجـــل الحق الانساني والحرية الانسانية ان يغدر بعضهم بالبعض الآخر وهم حلفاء ، حتى اذا ذهبت ايام الشدة عن الحليف القوي ، وتراخت الايدي الضاغطة على خناقه ، فبلغ من حليفه من جهة ومن عدوه من جهة اخرى ما يريد ، تنكر لهذا الحليف واعان عليه ، لا يرى في ذلك الا انه مقدرة من لدنه ودهاء او عجز من لدن حليفه وبلاهة .

كان الانكليز وحلفاؤهم ، في اللحظة نفسها التي يفاوضون فيها العرب للاتفـاق معهم على خوض غمار الحرب الى جانبهم على اساس المنفعة المتبادلة ـ تحرر للعرب من النير التركي وانشاء دولة عربية موحدة مستقلة ذات سيادة ، ونصر للحلفـــاء على اعدائهم ـ يومذاك كان الانكليز في هذه اللحظة نفسها يضمرون للعرب التقسيم والاستعباد والاستعمار كما ثبت من الوثائق التي كشفت عنهـــا حوادث حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ومن موقفهم عملياً من العرب بعد نهاية تلك الحرب وهذه الحرب ايضاً الحرب العالمية الثانية .

فبينما كان هنري مكماهون يفاوض الحسين ويوقع معه باسم الحكومة البريطانية العهود والمواثيق كان زميله مارك سايكس يتفق مع حليفه جورج بيكو مندوب الحكومة الافرنسية باشراف الحليف الثالث المندوب الروسي في القاهرة على تجزئة البلاد العربية وتقسيمها الى مناطق نفوذ واحتلال واستعمار .

وفي ٩ ايار ١٩١٦ ، تم الاتفاق نهائياً بين هؤلاء الثلاثة على التقسيم والاحتلال

والاستعمار .

وفي تشرين الثاني سنة ١٩١٧ بعث اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية الى اليهود بحجر الاساس لبناء دولة يهودية في قلب بلاد العرب فلسطين في كتاب الى اللورد روتشلد يقول فيه:

« عزيزي ، يسرني جداً ان ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضى والارتياح الى المشروع الذي يراد به انشاء وطن قومي لشعب اليهود في فلسطين وتبذل خير مساعيها لادراك هذا الغرض وليكن معلوماً انه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين الآن وبالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الاخرى وبمركزهم السياسي ».

اليس يدل هذا ، في ما يدل ، على ما بسطناه آنفاً من ان الحلفاء اضمروا للعرب غير ما اظهروه وانهم بيتوا لهم الشر ولم يستحقوه ، لما تواضعوا عليه من اسماء مختلفة ما انزل الله بها من سلطان لالوان جشعهم وسيطرتهم من مثل انتداب ووصاية وحماية وما الى ذلك فما كان الا الاستعمار مغلفاً بغلائل ما سترت العورات ولا حالت دون قيام الثورات .

والويل ثم الويل لمن لا يأخذ من الماضي عبرة لحاضره وعدة لمستقبله فيتقي المزالق ويتجنب العثرات ويتقاضى حقه معجلاً لا يثق بعهود ومواثيق تسطر على قصاصات من ورق تذهب في مهاب الرياح كما ذهبت عهود الانكليز ومواثيقهم في هذه المرحلة من التاريخ .

المرحلة الثالثة

ووضعت الحرب اوزارها ودخل العرب في المرحلة الثالثة من مراحل كفاحهم. وفجأة برز من وراء الستار من قلب الظلمة المجرمة شبح البطل البغيض يصارع الحق الابلج. الباطل وسلاحه المدفع والطيارة والدبابة ، والحق وسلاحه ... سلاحه انه الحق . والعربي ، ايها السيدات والسادة ، مسلماً كان ام مسيحياً ، متأثر لاشعورياً بما قرره الاسلام العربي بمجرد ظهوره في ساحة الحق فاني لاذكر خطاباً لعظيم من عظماء المفكرين العرب الاحرار هو المرحوم الشيخ محمد عبده ، يدور على الحرية والعبودية والحق والبطل ، وردت فيه هذه العبارة : « وكانوا يعتقدون ان الحق

للقوة للتسلط والقهر والغلبة ولكن الاسلام بمجرد ظهوره اعلن ان الحق ليس للقوة ولا هو في القوة ولا هو القوة بل ان الحق هو الحق . »

وليس لهذا القول من مفهوم عندي سوى ان الحق فوق الضعف وفوق القوة وفوق التسلط والغلبة ، فوق كل شيء : انه الحق وكفى .

وضعت الحرب اوزارها، فتنفس الناس الصعداء، واستبشر العرب بالعهد الذي سيجيئهم بثمرات كفاحهم ، بالحرية والسيادة والوحدة والاستقلال والعدل . ولمَ لا يفعلون وهذه اتفاقية الحسين ـ مكماهون وفيها الوعود والعهود ، وهذه وثيقة ويلسون بالمبادىء الاربعة عشر ونصها الصريح على حق كل شعب في تقرير مصيره ، هذا الحق الذي ملأ الحلفاء الدنيا كلاماً انهم انما يقاتلون في سبيله ؟

وهنا ، ايها السادة ، نود لو نجنبكم التفاصيل الليلة لضيق الوقت ولحضورها في اذهانكم جميعاً .

احلام بالوحدة تجمع بين بعض الاقطار العربية ، وبالاستقلال التام يحرر العرب من كل ضغط وقيد ، طموح حق الى استعادة عهد العزة والسيادة.. تنتهي كلها، بعد المماحكة والتضليل، الى ما تعرفونه من مساومة بين الانكليز والفرنسيين تؤدي الى الاتفاق فيما بينهم على مايلي :

اولاً ــ عدم المطالبة بادخال الموصل ضمن نطاق البلاد السورية .

ثانياً ــ تسليم فرنسا بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني .

ثالثاً ــ اطلاق يد بريطانيا في فلسطين .

رابعاً ــ تكون مقاطعة شرقي الاردن تحت الاحتلال البريطاني .

خامساً ــ وضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي .

هذا ما تم عليه الاتفاق بين كليمنصو ولويد جورج وعلى هذا الاساس انسحبت الجيوش البريطانية من لبنان ومن سورية ايضاً كما تذكرون، وتمركزت في فلسطين وفي العراق فتمركز معها الضغط والاكراه والاضطهاد ، ومشى في ركابها الظلم والتفرقة والفساد . ولم تكن الجيوش التي تمركزت في سوريا ولبنان ، اقل من تلك الجيوش التي تمركزت في الجنوب والشرق وقد استثمرت تعدد الطوائف والمذاهب وجعلت منها شعوباً وعناصر واجناساً متعددة مختلفة فاسست

لكل شعب وعنصر وجنس دولة مستقلة ... مستقلة الواحدة عن الاخرى . وقامت عصبة الامم ، كما كانوا يسمونها في ذلك الحين ، بدور نقابة للبيع والشراء : حمايات ، وصايات وانتدابات حتى استغلالات من طراز جديد فقد كان في مخازنها استغلالات من هذا الطراز .

ولكن الشعب الطيب الصبور فرغ صبره وكشفت التجارب عن عينيه العمى في العراق وفي الشام فانطلق الشعب العربي العراقي يوقد على البريطانيين ثورة لاهبة اشترك فيها مع الرجال والفتيان النساء والفتيات ، كلفت بريطانيا عشرات الالوف من الارواح والتهبت في ديار الشام بما فيها فلسطين ثورات كثيرة اعظمها شأناً واجلها خطراً واعمقها اثراً ثورة سنة ١٩٢٥ وبقيت الحال هكذا لا تخمد الثورة في منطقة حتى تلتهب في منطقة اخرى من القدس الى يافا الى حيفا الى جبل عامل الى دمشق الى جبل الدروز الى حلب الى اللاذقية وجبل العلويين مما لا يتسع المقام لتفصيله ويعرفه معظمكم ان لم اقل كلكم معرفة يقين .

وكان عهد الاحتلال الذي تلبس اسماء كثيرة مختلفة ، من اشراف الى انتداب الى غير ذلك من اسماء ، عهداً يسوده حكم بوليسي رهيب ، لا يرفع فيه حر صوته طلباً لحق او غضباً لكرامة او تذكيراً بوعد الا ويكون نصيبه السجن او النفي او التشريد ، ولجان الدرس والبحث والتحقيق تروح وتغدو بين باريس والشام ولندن والقدس وترفع الى «عصبة الامم» التقارير والقرارات ليس بالشكل الذي يوجبه الواقع ويقضي به حق الانسان وحرية الانسان ولكن بالشكل الذي يكون قد اتفق عليه من قبل واعني بالشكل الذي يساعد على المضي في سياسة التفرقة والافساد والافقار والاستعمار والاذلال .

وقد تكون هذه الدول الحليفة المحترمة التي كان من المفروض ان تكون ابعد نظراً واكثر براً بهذه الحرية حرية الانسان ، وبهذا الحق حق الانسان ، قد تكون هذه الدول نجحت — والى حين — في التفرقة والافساد والافقار ، اما في الاذلال فانها لم توفق وانا من هذا على يقين .

ليس للذل حيلة في نفوس يستوي الموت عندها والبقاء .

وبقيت الحال هكذا ولا عبرة بما كان من محاولة عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ في دمشق وبيروت فقد كان ذلك خدعة ايضا الى ان جاء شهر ايلول من عام ١٩٣٩

وجاءت معه الحرب العالمية الثانية . وكان الناس عندنا بدأوا يكفرون بالعدل الانساني والضمير العالمي وبدأوا يدركون ان الضمير العالمي والعدل الانساني كلمتان لا تجسدان في حركة فاعلة ولا تضجان بالحق ضجة معطية، الا اذا كان لصاحب الحق قوة تحميه وسنرى الآن في المرحلة الرابعة اذا كان العرب بدأوا يعملون حقاً بهذا الادراك .

المرحلة الرابعة

اعلنت الحرب العالمية الثانية والبلاد العربية رازحة تحت نير الاستعمار — وان تعددت اسماء مظاهره — مصر ، العراق ، سورية ، لبنان ، فلسطين ، ليبيا ، المغرب ، امارات الخليج ، النواحي التسع . فطلع علينا الحلفاء بمنشوراتهم يحذرون ويعدون ويتهددون ويتوعدون ، ولعل اطرف ما قرأت ، في ذلك الحين ، منشور توج بهذه العبارة الذهبية : « لسانك حصانك ان صنته صانك » .

وكانت الجيوش تروح وتغدو في كثير من الابهة والزهو ، والاحكام العسكرية تجثم ثقيلة على صدر البلاد ، والويل لمن لا يصون لسانه ، فيذهب التنكيل به مثلاً في العباد . ها نحن اولاء ، من جديد ، امام معسكرين — معسكر الحلفاء ومعسكر الالمان — وادهى ما ابتلينا به ، اننا لم نكن لنرى الخير في هذا المعسكر دون ذاك بالنسبة لمصلحة وطننا ، وآمال امتنا ، فالحلفاء يسوموننا الخسف والذل في كل يوم : وعدونا فاخلفوا وعاهدونا فنقضوا وهم لا يزالون على حالهم معنا . استعمار واضطهاد ، والالمان ، الالمان هذا كبيرهم يحكم بلادهم بالحديد والنار وحب التوسع والسيطرة ، والاستعلاء على عباد الله يملأ نفسه ، ويرسم طريقه ، ويحدد شعاره الحديد والنار وليس الا الحديد والنار . بلى ، والاستعلاء على الناس ، كل الناس ما عدا الالمان . وذاك صاحبه الآخر وحليفه الاهوس ، يتخذ المدفع والدبابة ، منبراً ، يحلم بالامبراطورية الرومانية ويتوهم انه يحقق حلمه على حساب المستضعفين .

ربح الالمان الجولة الاولى كما تعلمون فذللوا العقبات ودكوا الحصون واكتسحوا البلدان المحايدة مبتدعين سنة جديدة « كل من ليس معنا فهو ضدنا » . فالحياة في نظرهم اسطورة من اساطير الاولين ، وهكذا اطبقوا على هولنده وبلجيكا والنروج عابثين بكل عرف هازئين بكل شرعة وعهد — وفي مدة لا تتجاوز عشرة ايام

مشهد اخر للحضور الكرام ، عشية دولة الرئيس العويني في الندوة . ويري القاريء، علي الصفحة ٢٦ ، ثلاثة مشاهد للمحاضر يتلقي التهاني علي محاضرته الممتازة الجامعة .

استسلمت فرنسا وطلبت الامان . وخشي الطاغية الايطالي ان لا تصيبه الغنيمة فاعلن الحرب على فرنسا وهي مثخنة بالجراح .

ومن الغريب — ولعله ليس غريباً — ان اتفق الضدان وتعاهد الخصمان النازية الفاشستية من جهة — والشيوعية من جهة اخرى ، جمعت بينهما المطامع وشهوات الفتح والاستثمار . في هذه الغمرة المخيفة من حياة البشر المهددة بالفناء استولى الحلفاء على مرافق البلاد العربية ، فاعدوا ما استطاعوا للقتال ، وهيأوا معدات التدمير لهذه المرافق اذا هم قضي عليهم بالتقهقر والانكسار .

وبعد ثلاثة اشهر على اندلاع نار الحرب كتبت كتاباً الى المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود مما جاء فيه « يا صاحب الجلالة ، ان الصراع القائم بين الالمان والانكليز هو صراع على البقاء ورغم ما نراه من تفوق الالمان وانتصاراتهم المتتالية حتى الآن في مختلف الميادين فاني اعتقد ان نهاية الصراع ستكون هزيمة الالمان . وفي رأيي ان مصلحة العرب في هذه الظروف العصيبة التي يجتازها العالم هي بالرغم من كل شيء ، في الوقوف بجانب الانكليز — ولعله من الخير لنا ان نضع تحت تصرفهم ما لدينا من امكانيات مقابل عهد لا كالعهود السابقة ، يضمن لنا بشكل قاطع حقنا في الحياة الحرة المستقلة وان نشدد بصورة خاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين وتجنبها خطر الصهيونة المخيف . انكم ، يا طويل العمر ، صاحب الكلمة المسموعة في العرب والزعيم الاوحد الذي تشخص اليه الابصار وتناط به الآمال وعلى يدكم الكريمة يرجو العرب ان يتمتعوا بالحرية والاستقلال فان وقع ما نفكر به من انتصار للانكليز نكون قد اعددنا للامر عدته ، وان انتصر الالمان — لا سمح الله — فلن يصيبنا من البلاء اكثر مما نحن فيه ، والامر لله من قبل ومن بعد » .

ومع ذلك اتهمنا بالفاشية .

هكذا كان يفكر فريق من العرب غير قليل كما فكر فريق آخر بشكل آخر . بيد ان هدف الجميع كان التحرر مما هم فيه من قيود والتمتع بنعمة الاستقلال والسيادة ، مطمع كل حر شريف .

واستمرت الحرب تزداد نارها تأججاً وتربا من المفاجآت عجباً ، فانقلب العدو صديقاً والصديق عدواً ، ومكر الحليف بالحليف واضمر الحليف الشر للحليف ، واجاز بعضهم محالفة الشيطان في سبيل التغلب على العدو وانه اذا بلغ بنا الغاية لنعم

الحليف .

وكانت المؤتمرات في خلال ذلك تعقد والمفاوضات لا تنقطع يساعد الرأي الشجاعة ويدعم الفكر المدفع للامعان في التقتيل والتدمير ، وسيلة النصر الاخير .

وكان ان اجتمع رؤساء العرب برؤساء الغرب ، فتشاوروا وتبادلوا الرأي وصارح رؤساء العرب رؤساء الحلفاء بما في نفوسهم فطمأنهم هؤلاء ، واكدوا لهم انه لن يبقى حق سليب الا ويعود الى نصابه ، ولن يبقى شعب اوذي في حريته واعتدي على ارضه ، الا وتسلم له ارضه وتحترم حريته ، وان الحلفاء لن يقروا اي استعمار او حيف ينزل بالبلاد العربية على الاطلاق . وصدق العرب وآمنوا هذه المرة ايضاً ، ولعلهم لا يزالون يصدقون ويؤمنون ، ولمَ لا وهـذه هيئة الامم المتحدة ، انما قامت على اسس من العدل والانصاف وحق الانسان ، وها نحن فيها نتساوى بالدول العظمى فيجلس على مقاعدها مندوب لبنان او اية دولة عربيـة اخرى الى جـانب مندوبي اميركا وروسيا وانكلتره ، ويسمع صوته كما تسمع اصوات مندوبي روسيا وانكلتره واميركا ، يجهر بما يعتقده حقاً ، ويعارض ما يرى فيه باطلاً ؟

وكان ان قضي على بعض الطغاة فقضى احدهم حرقاً وقضى الآخر صلباً وأفلتت شياطين الموت لتصب الحمم على ذلك الشعب الاصفر يستهين بالموت في سبيل بقاء امبراطورية الآلهة وخيل الى الناس ان قد انتهى الامر ولم ينته ...

وضعت الحرب اوزارها لتبدأ بشكل جديد. وضعت الحرب الحامية اوزارها لتحمل الحرب الباردة اوزارها... الحرب الباردة التي تثيرها العقائد كما تثيرهـا الاطماع وانقسم العالم الى معسكرين : معسكر احمر ومعسكر ابيض ، يزعم كل منهما انه يحمل الى العالم الحنى والحرية والسلام ويكافح الاستعباد والظلم والطغيان ، الحكاية التي مثل حكاية ابريق الزيت ، لا ندري متى تنتهي وهل تنتهي على الايام.

وفي سنة ١٩٤٣ حدث ما تعلمون واصبحنا بنعمة الله ، وفضل الوثبة التي وثبها لبنان ثم بفضل التدخل الشخصي للجنرال سبيرس ننعم بالاستقلال التـام ، وبقي العراق والاردن وبقيت مصر وفلسطين حيث كانت لا زيادة ولا نقصان وحقق الانكليز على يدي سبيرس ، ما يرمون اليه ، واصبحوا وحـدهم اصحاب الكلمة المسموعة والنفوذ الصحيح .

وبرزت في البلاد العربية فكرة تأسيس جامعة الدول العربية اكبرها العرب واستبشروا بها وعملوا لتحقيقها مغتبطين ، ولكن رجلاً واحداً تمهل واطال التمهل والسكوت وخشي احجامه عن الاشتراك في الجامعة ، فحسبوا لرأيه حساباً ، ذلك الرجل هو المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود ، طيب الله ثراه . وكان المرحوم رياض الصلح ، اجزل الله ثوابه ، على رأس الحكم عندنا في ذلك الحين فدعاني يوماً واسرّ لي بما يساوره من مخاوف ان بقيت المملكة العربية السعودية خارج الجامعة ، فأعملنا في المسألة فكرنا واستقرّ رأينا على ان اذهب الى الرياض فاهيىء الجو لمجيئه اليها ، وذهبت الى الرياض واجتمعت بالمغفور له الملك الجليل . وتهيأ الجو وفي شهر نيسان من عام ١٩٤٤ وصل المرحوم رياض الصلح وصحبه ، المرحوم سليم تقلا ، والسيدان يوسف سالم وموسى مبارك اطال الله بعمرهما ، الى المخيم الملكي في روضة «خريم» فاستقبلهم جلالة الملك مرحباً واكرم وفادتهم اكراماً عربياً .

وهاءنذا اسمعكم ، نقلاً عن مذكراتي في ذلك اليوم ، الحديث الذي دار بين جلالة الملك وبين رياض رحمه الله وكنت الوحيد الذي حضر ذلك الاجتماع :

بدأ جلالة الملك حديثه قائلاً : «هات ما عندك يا رياض» . فقال رياض: «كل خير تعلمون يا جلالة الملك ما وصل اليه العرب من تفكك وتضعضع نتيجة لاختلافاتهم وتباعدهم وتباين آرائهم، لا جامعة تجمعهم، ولا رابطة تربط فيما بينهم، والعرب ، يا جلالة الملك ، مقبلون على اخطار جسام ان لم يواجهوها مجتمعين ومتكاتفين ، عصفت بهم واوصلتهم الى اخطر النتائج واسوأ العواقب ، وتدور الآن مشاورات حول تأسيس جامعة للعرب تؤلف بين قلوبهم وتشدّ بعضهم الى البعض الآخر ، والهدف الاول في تأسيس هذه الجامعة هو تنسيق السياسة العربية وتوحيد جهود دول العرب لمجابهة الاحداث ودرء الاخطار عن البلاد العربية كافة، وانتم يا جلالة الملك اول من يغار على العرب ومصالحهم واول من يفكر بالعرب ومصيرهم وان اول خطر سيواجهنا هو الخطر الصهيوني في فلسطين فان لم نتدارك مجتمعين فالمحنة واقعة لا محالة» .

فقال جلالة الملك رحمه الله : «اسمع يا رياض ، انا اعلمك (اي اخبرك) بما عندي واصارحك بما في نفسي . انني لا اخشى على العرب الا من العرب ، وارى

ان التصافي بين رجالات العرب وازالة ما في نفوسهم من حقد وضغينة شرط اساسي لنجاح العرب اذ كيف تجمعون بين حكومات العرب، على صعيد واحد ، تعملون لغاية واحدة ، ورؤساؤهم يضمر كل واحد منهم الشر للآخر ويتربص به الدوائر ويسعى لزواله ، ولا يتورع عن استعداء الاجنبي على اخيه العربي تشفياً وانتقاماً ؟

«اسمع ، يا رياض ، خير للعرب ان يعالجوا الداء في موطن الداء بعلاج حاسم تبرأ معه نفوس العرب مما فيها من ان يعالجوا المظهر ، واخشى ما اخشاه النكسة يا رياض ، التي تفقد الشعوب الثقة بنفسها وبرؤسائها فيستولي عليها اليأس وتنقلب النكسة الى شر مستطير على الرؤساء العرب وتقطع علينا الطريق الى الامل في الحياة والبقاء . فكروا فكروا ، يا رياض ، ولا تقولوا يوماً ان عبد العزيز لم يصارحنا ولم يخبرنا بما عنده . »

فاجاب رياض : « انك على حق ، يا جلالة الملك ، في كل ما تقول وهذا ما سعى لعلاجه واعتقد ان في الجامعة ما يسهل على المسؤولين العمل في سبيل ايجاد العلاج الشافي» . قال جلالة الملك : «اسمع ، يا رياض ، انا لا اريد ان اكون سبباً في قطع الطريق على العاملين ولا اريد ان يقال ان عبدالعزيز خرج على الاجماع وكان السبب في عدم اخراج الفكرة الى حيز الوجود . اذهبوا واعملوا وانا جندي من جنود العرب اعمل في سبيل عزة العرب ومجدهم واتحادهم وتضامنهم . ولا تنس انني قلت لك ما اعتقد وصارحتك بما ارى واسأل الله لكم التوفيق والنجاح ».

خرجنا من صيوان جلالة الملك الى صيواننا الخاص واذا برياض على غير عادته ساكت يفكر ، يزرع الصيوان خطى ذهاباً وايابا . فقلت له: مالك ؟ بم تفكر ؟ قال : يا حسين اني خائف ان تتحقق نبوءة هذا الرجل ، وقد اثر في نفسي كلامه، على اننا يجب ان نعمل في كل حال ، وان نضاعف جهودنا لكي نصل الى الغرض المنشود .

كان هذا في الصباح ، وجاء طعام الظهر فلم يأكل رياض الا قليلاً ، وكان لا يزال يظهر عليه انه يفكر . وهبط الليل ، ودعينا الى العشاء ، وكان رياض لا يزال يبدو عليه انه يفكر فأكل قليلاً وتكلم قليلاً وتركته عند منتصف الليل الى فراشي وفي الصباح عدت اليه فاقسم انه لم ينم وانه لا يزال يفكر في ما سمعه من جلالة الملك .

وعاد رياض الصلح وصحبه المحترمون الى بيروت ثم بدأت المفاوضات بصورة رسمية لتأسيس جامعة الدول العربية ، فصاحبها التوفيق . وفي شهر اذار سنة ١٩٤٥ تم توقيع ميثاق الجامعة ، هذه الجامعة التي علق عليها العرب كثيراً من الآمال ورأوا فيها وسيلة من وسائل جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم وتكوين قوتهم ، واخذت الاجتماعات تتوالى ، والشعوب العربية تتساءل عقب كل اجتماع عما حدث وما يمكن ان يحدث من اعمال انشائية واعدادات خيرة قوية تجعل من هذه الدول العربية قوة ذات شأن ووزن ، تبني لنفسها وتعاون في البناء للانسانية جمعاء ، بناء الحضارة توفر لبني آدم الحرية والكرامة والرفاهية والسلام .

لا يجوز ان ننكر ما كان للجامعة من فضل في تنسيق السياسة العربية من الناحية الدولية ولا ان ننكر ان الدول الاعضاء كانت تتقيد بقراراتها وتوعز الى ممثليها في الامم المتحدة ان يتقيدوا بما كانت تقرره اللجنة السياسية وتوصي به . على ان ممثلاً واحداً كان يشذ في اغلب الاوقات عن هذه القاعدة ويفرض ارادته على حكومته ، ومن يدري فقد يكون لذلك الرجل عذر تعجز افهامنا عن ادراك السر فيه ورأي يقصر ادراكنا عن الاحاطة بالحكمة منه .

وكانت الجامعة طوال هذه المدة بين مد وجزر ، واختلاف واتفاق في الامور الشكلية ، وتسويات تامة او ناقصة ولكن موقتة لما يعرض من مشاكل الى ان حلت سنة ١٩٤٨ بويلاتها ونكبتها العظمى نكبة العرب في فلسطين ، نكبة الانسانية بالضمير العالمي ، نكبة العدالة الانسانية بالعدل الانساني ، واني لا اريد الآن العودة الى ما كان وتفصيله ، ولكن لا بد من تقرير حقيقة صارخة وهي ان نكبة العرب في فلسطين انما تعود الى اسباب سياسية اكثر منها عسكرية بل الى اسباب سياسية صرف ، في مقدمتها :

اولاً — ارتباط بعض الدول العربية التي اشتركت قواتها النظامية في القتال بمعاهدات ثنائية مع دول اجنبية ، تحد من سيادتها وحرية اتجاهها السياسي والعسكري .

ثانياً — سوء الظن المتبادل بين الدول العربية والشك القائم في نفس فريق بنيات الفريق الآخر ، وما تركه هذا في مجرى التعاون العسكري بين قيادات الجيوش العربية .

ثالثاً ــ موافقة الدول العربية على قبول بعضها الهدنة الاولى في الحين الذي كادت فيه طلائع القوات العربية تدخل تل ابيب .

رابعاً ــ تأثر الدبلوماسية العربية بالضغط الخارجي كما لا يزال يحدث حتى اليوم لمصلحة اسرائيل على حساب المصلحة العربية . ولم يسبق انه وصل الى علمنا او ان استساغ العقل البشري ان شرذمة من العصابات او حتى من قوة عسكرية، تهاجم معسكرات نظامية ، وتسرق منها اسلحة واعتدة مختلفة حتى ودبابات دون ان تلقى اية مقاومة من الحرس القائم على حراسة هــذه المستودعات ضمن نطاق المعسكرات المليئة بالجنود .

بيد ان الاستغراب يخف حينما نعلم ان هؤلاء الجنود لم يتحركوا حتى يوم عذبت هذه الشراذم فريقــا من ضباطهم ومن رفقائهم الجنود امثالهم وامتهنوا كرامتهم وانتهكوا رجولتهم ...

على اننا نعلن للحقيقة والتاريخ ان هؤلاء الجنود ورؤساءهم كانوا جد اسخياء حين قدموا مختلف انواع المساعدة لاجلاء العرب عن بلادهم براً وبحراً وجواً ... وحرضوهم على هذا الجلاء رأفة بهم وضناً بهم على الموت . فكان الموت في جلائهم وهو ما ارادوه لهم بل كان فيه ما هو شر من الموت. انه ليجدر بنا ان لا ننسى ان من اسباب النكبة هذا السخاء بهذه الانواع من المساعدات . واؤكد اننا لن ننسى ان في نكبة العرب في فلسطين غير الخسارة الهائلة في المال وفي الارواح وفي الارض، مذلة واهانة وان الشريف لا ينسى الاهانة والعربي شريف فلن ينسى ومعنى هذا انه سينسل الاهانة ، فنعيد الى الضمير الذي مات او كاد رمقاً من الحياة ، والى نفوس الذين كفروا بالعدل الانساني شيئاً من الايمان بهذا العدل .

وقد لا نغالي اذا نحن اعتبرنا ان من جملة الاسباب غير المباشرة للنكبة التي لن ننساها، تلك العهود التي نكسها الحلفاء غيره مرة ، واقرب تلك العهود زمناً ذلك العهد المتجسد في كتاب بعث به الرئيس روزفلت الى الملك عبد العزيز آل سعود يقول فيه ما خلاصته :

« ان اميركا لن تقدم على اية تسوية في فلسطين تضر بمصالح العرب ... او لا تكون بموافقتهم ». وقد دلت تلك الحوادث على ان هذا الكتاب كان كغيره من الكتب والرسائل في هذا الصدد : قصاصة من ورق ذهبت في مهب الريح .ويبدو

ان هذا دأب الغرب في كل زمان ومكان حيثما يتوهم ان في هذا مصلحة له مهما تكن ضئيلة الشأن .

ألم يرسل تشرشل في خلال الحرب العالمية الاخيرة ، وكانت المانية على شفير الهاوية ، برقية الى القائد الاعلى مونتغمري يقول له فيها : « احتفظ بسلاح الالمان المغلوبين فقد نضطر الى اعادته اليهم للانقضاض على الروس» وكان الروس حلفاءه، اي حلفاء الانكليز ؟ ان النصر الذي كان ينتظر تشرشل لم يكن قد اكتمل بعد، ومع ذلك فهو يفكر في الغدر . حليف يمكر بحليفه ويبيت له الشر ويدبر له اسباب الهزيمة بعد ان يكون قد قضى منه مأربه ، لانه اعتقد ان من وراء هذا المكر والغدر تحقيقاً لمصلحة ، او تأميناً لمغنم .

وهذه فضائح مؤتمر «يالتا» ، هل اتاكم خبرها ؟ اسمعوا ! لقد اذاعت وزارة الخارجية الاميركية في ١٧ آذار من هذه السنة قسماً من الوثائق السرية الخاصة بالمؤتمر الذي عقده الثلاثة الكبار ، كما يسمونهم ، في يالتا سنة ١٩٤٥ : روزفلت — تشرشل — ستالين . وفي هذه الوثائق تفصيلات للصفقة التي عقدها روزفلت مع ستالين لحمل روسيا على دخول الحرب ضد اليابان ، وقد تمت الصفقة على حساب فرنسا والصين دون اي علم لهؤلاء بالامر وهم حلفاؤهم ورفقاؤهم واخوانهم في السلاح .

هذا ما ظهر والخفي اعظم .

اسمعوا ما اجاب به تشرشل في مجلس العموم البريطاني ، رداً على سؤال وجه اليه بهذا الشأن ، واحكموا على قيمة الوعود والعهود التي يقطعها في الغرب قوي لقوي وليس لضعيف .

قال تشرشل :« ولاسباب تتعلق بالمصلحة العامة كانت الحكومة البريطانية ابلغت الولايات المتحدة ان بريطانية ترى انه من غير المرغوب فيه نشر بيانات تفصيلية عن المباحثات الدولية بعد اجرائها لانه اذا صار النشر قاعدة مرعية فان من شأنه ان يعيق حرية المشاورات وتبادل وجهات النظر في ما يعقد من مؤتمرات في المستقبل ، ويحسن على اي حال ان تجري مشاورات بين من يعنيهم الامر قبل نشر اي بيان عن مباحثات اشترك فيها ساسة لا يزالون على قيد الحياة ... »

ترى ما الداعي الى كل هذا التشديد على ضرورة كتمان ما يجري في المباحثات

الدولية في مثل هذه الحال اذا لم يكن الساسة المتباحثون يتآمرون بالدول والشعوب ويبيتون لها الفواجع ويتعاونون «على الشر» ، على تجزئتها وتقاسمها ، واستعمارها ، وسلخ جلدها اذا امكن .

اننا لا نرى اي داع لهذا الاصرار على ابقاء ما يقال ويدبر في الغرف السوداء سراً لا يجوز ان يعرفه غير الذين قالوا ودبروا ، الاّ ان يكون في ما قيل ودبر في مثل هذه الظروف ما يعتبر عدواناً على اوطان الامم وحقوقها وحرياتها وكرامتها . على ان السيد تشرشل يجيز نشر الوثائق المتعلقة بهذه الاسرار بعد ان يفارق «الساسة المتباحثون» ، اي المتآمرون المحترمون ، هذه الحياة الدنيا . ايكون معنى ذلك ان الضمير عند هؤلاء الساسة غير مرتاح وان الخشية تراودهم وترافقهم ؟

واليكم ، ايها السيدات والسادة ، شيئاً يسيراً مما قاله في مؤتمر يالتا ستالين لروزفلت وما اجاب به روزفلت زميله ستالين . قال ستالين : « انا صهيوني من ناحية المبدأ » ، فأجاب روزفلت : «وانا كذلك» . ان هؤلاء الرجال الكبار يحرصون على ان يبقى ما يتفقون عليه من خديعة وتضليل وعبث بحقوق الشعوب وحرياتها وكرامتها ، سراً في جوف الظلام ، لا خوفاً من حساب الله ـ وهو العارف بما في الضمائر ـ بل من نقمة التاريخ وغضبه !

ابعد هذا كله يمكن ان يبقى في وسع اطيب الناس نية ، واكثرهم تفاؤلاً ، وابعدهم بالساسة من هذا النوع ظناً حسناً ، ان يؤمنوا بعهد يعطيه هؤلاء الساسة او ميثاق يبرمونه ؟

ونعود الى سير النكبة من سنة ١٩٤٨ حتى اليوم غير معنيين بالتفصيل ، رغبة في الاختصار ، فنرى انه ما كاد اليهود يعلنون تأسيس دولتهم « اسرائيل » حتى تهافتت الدول الكبرى على الاعتراف بها كأنهم كانوا على موعد . فكان اول من اعترف بالدولة اليهودية وباركها الرئيس ترومان «رئيس الدولة الديمقراطية العظيمة الحرة » ... فانه لم يمض على اعلان تأسيس الدولة اليهودية ساعة واحدة ، حتى كان اعتراف اميركا بها قد طبق الخافقين ووقع ما كان منتظراً ان يقع من انفجار النفوس ونشوب القتال دفاعاً عن الارض المغتصبة وعن الحق في الحياة الحرة والوجود الكريم تعبث به ـ بواسطة شذاذ الآفاق ـ دول من اكبر الدول

واكثرهن تبجحاً بنصرة الحق والحرية والوجود الانساني الكريم ، وتحت ضغط الشعب المجاهد .

اشتركت في القتال قوات عربية نظامية لدفع العدوان والرجس عن ارض يقدسها العرب من مسلمين ومسيحيين واكتسح المناضلون العرب مع القوات العربية النظامية ، قوات اليهود ووصلوا الى القرب من تل ابيب فقامت قيامة الدول الاستعمارية الحرة وصبت جهودها كلها سراً وعلانية لوقف الزحف العربي ، فتأثر العرب وخُدعوا ونزلوا على رغبة هذه الدول منها الحليف ومنها الصديق وتوقف الزحف وانكفأت القوات العربية وفرضت الهدنة فرضاً من هذه الدول اكراماً لعيون اليهود وانقاذاً لهم من الفناء وما كان لهم من مصير ، وفي خلال الهدنة المجرمة التي تقيد بها العرب ، في سلامة نية واطمئنان لكي لا اقول اكثر من ذلك ، اخذت دول غربية معروفة ديموقراطية عادلة تغدق على اليهود السلاح الثقيل وغير الثقيل من دبابات وطيارات ومدافع وغير ذلك ، والمسؤولون العرب لا يتحركون ويتفرجون . انهم على حكم الهدنة نازلون وفي ظلمة الليل ومن عقولنا ، ضرب اليهود الهدنة بارجلهم ووقعت النكبة كما تعلمون وتذكرون .

اما قرار التقسيم فلم تضعه هيئة الامم المتحدة الا ومعه قرار آخر سري غير مكتوب : هو وأد قرار التقسيم اذا رضي به العرب ودليلي على ذلك ما تشهدون .

ايها الحفل الكريم ،

في سنة ١٩٥١ مر بهذه البلاد رجل اجنبي نبيل دعوني اسميه « النبيل المجهول » ولو الى حين ، وكنت ، يومذاك ، على رأس الحكومة ووزيراً للخارجية ، وبحكم هذا المنصب ، جاءني الرجل في المرة الاولى زائراً وكان يرافقه ممثل حكومته في لبنان وجاءني مرة ثانية بمفرده مستطلعاً فقال : هل استطيع ان افهم السبب الحقيقي لوجود الفكرة الشيوعية في هذه البلاد رغم ما نعلمه من تمسك اهلها بالمبادىء والتعاليم الدينية التي تتنافى مع الشيوعية ؟ فاجبته : لعلك اذا فكرت قليلاً عرفت السبب وكفيت مؤونة السؤال . السبب ؟ انتم السبب . فنظر اليّ الرجل نظرة المتأمل ولكن من دون ان تبدو على ملامحه علائم الدهشة ، واطرق قليلاً يفكر . فقطعت عليه تفكيره ، وبعد ربع ساعة كنت واياه قرب مخيم اللاجئين المعروف باسم مخيم شاتيلا . وكان الجو ممطراً فكان اول ما وقعت عليه الاعين فتاة قد تكون بين

الحادية عشرة والثانية عشرة من عمرها مبلل ما بقي على هيكلها العظمي من ثياب رثة، شاردة، حائرة، فكلمتها واخذت بيدها. فنفرت وكأنها تستمطر اللعنة على من كان السبب في نكبتها. قلت لها: تعالي يا ابنتي، ما اسمك؟ قالت: ثريا ... ومن اين انت؟ قالت: من يافا — قلت: اين اهلك؟ قالت: ابي قتله اليهود وامي لا اعرف اين هي. قلت: هل لك اخوة واخوات؟ قالت: آ... كان. واين هم الآن؟ ما بعرفش. قلت: وكيف جئت الى هنا؟ قالت: بالماعونه فريت مع غيري. واقسم انها كانت تجيب عن اسئلتي والدمع في عينيها متحير لا يفيض ولا يتدحرج، وكنت اترجم لرفيقي ما تقول وهو ساكن لا ينبس يرفع نظره عنها حيناً ليمده الى بقية اللاجئين ثم يعود فيثبته على الفتاة دون ان يبدو على وجهه ما ينم على ما في نفسه. ثم قلت له: هلم بنا نحدث غيرها! قال: لا، ارجوك، لنعد من حيث اتينا لقد اكتفيت وفهمت ما تريد ان تقول ولعلك مصيب! واوصلت الرجل الى حيث اراد وانا اعتقد ان هذا آخر عهدي به. ولكنني كنت مخطئاً، فلم يمض على افتراقنا طويل وقت حتى حمل الي البريد من هذا النبيل المجهول رسالة صادرة عن بلد غير بلده مما يقوله فيها ما معناه: ان زيارتي لذلك المخيم بصحبتك كانت السبب في اني اكتب اليك من هذا البلد وليس من بلدي فلا تعجب ... فسلام عليك اين ذهبت وحللت ايها الرجل النبيل وبورك فيك!

وهناك رجل من حقي ان اسميه هو تريغفلي امين عام هيئة الامم المتحدة قد زارني هو ايضاً ويا ليته لم يفعل انه صهيوني من الطراز الاول ليس في ملامح وجهه العريض وجثته الضخمة اي اثر للانسانية. لقد قال لي بعد حديث طويل انه لا يمكن للامم المتحدة ان تفعل غير ما فعلت فقلت له ان الله اكبر وسترى.

حادثتان متناقضتان مرتا علي في ذلك الزمان لا انساهما ما حييت.

وفي تلك السنة اي سنة ١٩٥١ وقعتُ اتفاقية النقطة الرابعة وقلت للقائم باعمال السفارة الاميركية آنذاك الذي وقع معي الاتفاقية نيابة عن حكومته، اني اوقع هذه الاتفاقية لنرى مبلغ حسن نية الحكومة الاميركية في معاملتها مع لبنان وما اذا كانت تقيم للصداقة اللبنانية الاميركية وزناً، وسنرى بعد، ما سيكون موقف اميركا من المعاونات تبذلها للبنان ولمجموعة الدول العربية من جهة ولاسرائيل من جهة اخرى. وكان جواب الرجل: اؤكد لك انك سترى ما يسرك. وقد

رأيت ما ساء .. وخيب الرجاء ..

وقد بذلت في تلك السنة مساع قوية جـــداً لعقد الصلح مع الدولة اليهودية « اسرائيل » ولكن احداً من العرب لم يتأثر بهذه المساعي وما رافقهـــا من الحاح شديد. وبعد فترة عادوا يحاولون ، وبشيء من الضغط هذه المرة، حمل العرب على عقد الصلح ولكنهم لم يوفقوا الى من يجرؤ على ارتكاب هذه الجريمة والخيانة من العرب ، واعتقد انهم لن يوفقوا الى ذلك ابداً .

وحينما تيقنوا من ان مساعيهم بشأن الصلح غير ذات نفع ، طلعوا علينا بنغمة الدفاع المشترك ، ففي سنة ١٩٥١ ابلغت انكلترا وفرنسا واميركا وتركية ، كل الحكومات العربية انها تريد تنسيق الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط بخطط موحدة، ضد الخطر الشيوعي الذي يهدد المنطقة من الداخل في حالة السلم ومن الداخل والخارج في حالة الحرب ، وطلبت هذه الدول من الدول العربية توقيع اتفاق معها يطلق عليه اسم الدفاع المشترك مقابل تسليحها بما تحتاجه من سلاح وعتـــاد للقيام بما يفرضه هذا الحلف من التزامات عسكرية فرفضت الدول العربية الاشتراك بالحلف الا بعد ان تصفي المشاكل القائمة بينها وبين الغرب ، فهذه مشاكل مصر والعراق والاردن وفلسطين وخاصة فلسطين ومشاكل المحميات ومشاكل المغرب العربي ، فهل يعقل ان تدخل الدول العربية في حلف للدفاع المشترك قبل ان تصفي هذه المشاكل ؟

الدفاع المشترك . انه يجدر بنا ان نقول هنا كلمة تحليلية في ما يسمونه الدفاع المشترك لانه اصبح نغمة تردد بكل مناسبة .

اننا نفهم بالدفاع المشترك ان يقوم ، بين دول تربط بينها وحـــدة المصالح والاهداف ، لاتقاء شر عدو لها مشترك ، فتتخذ تلك الدول ما يمكن من التدابير لصد عدوان قد يقوم به عليها ذلك العدو المشترك ، وقد يكون هذا العدو اكثر من عدو واحد ، اذن فالواجب يقضي في مثل ظروفنا نحن حتى يكون الطلب منطقياً ومقبولا ، ان تراعى الاسس التالية التي يجب ان يقوم عليها الحلف :

اولاً ــ تصفية المشاكل القائمة بين الدول التي يجمعها الحلف .

ثانياً ــ ان يعين العدو المشترك الذي يؤسس الحلف لرد عدوانه .

هذا ما نفهمه بالدفاع المشترك ليكون دفاعاً مشتركاً حقاً ، وهذا هو في

المحاضر مع مؤسس الندوة

نظرنا المنطق السليم. على انه يبدو لنا ان ساداتنا المحترمين اصحاب المشروع يفهمون بالدفاع المشترك غير هذا، وانهم يريدون ان يرغمونا على ان نفهم به غير هذا، وان يقنعونا ولو بالتهديد والضغط بأن المشاكل القائمة بين الدول العربية وبينهم مشاكل بسيطة تحل مع الزمن، وليس هناك من دواع ضرورية مستعجلة، لتصفية هذه المشاكل قبل ابرام الحلف «حتى ولا بعده» ... وانه يجب علينا ان نعتبر ان عدوهم عدونا نحن ايضاً، وبذلك يصبح العدو مشتركاً. اما عدونا فليس عدوهم وليست هناك اية ضرورة ليكون عدوهم، بل انه على العكس ولدهم المدلل البار، او غير البار لا فرق.

•

ايها السيدات والسادة، القوة، القوة الميكانيكية الآلية، هذه القوة التي نحن في سبيل استعادتها، اما ان تكون طلقت منا، او ان نكون نحن طلقنا افهامنا وعقولنا، فان هذا لم يقع واعتقد انه لن يقع ابداً.

ان للغرب عدواً واحداً لدوداً، كان حتى الامس القريب صديقاً عزيزاً ودوداً يتعاونون واياه على اقتسام الغنائم، هذا الصديق والحليف بالامس والعدو اللدود اليوم هو الشيوعية، واما العرب فعدوهم اللدود كان وما يزال وسيبقى عدواً لدوداً في الامس واليوم والى الابد — هذا العدو هو اسرائيل ... واذا كانت الشيوعية خطراً فان اسرائيل اشد خطراً علينا وخطرها اقرب.

يريدون ان نقاتل معهم عدوهم، على اعتبار انه عدو مشترك ... وان ندلل

معهم عدونا ربيبهم وصديقهم ... كما يفعلون . اليس هذا بدعاً في سلامة المنطق وفي الانصاف ؟

قلنا لهم وقالت لهم الحكومات العربية جميعها ، دعونا ننظم انفسنا ونجعل من الجامعة العربية منظمة اقليمية تصفي بعدل مشاكلها معكم على اساس وحدتها وسيادتها وحقها في ارضها وحريتها في تقرير مصيرها، وعلى هذا الاساس نفاوضكم فأبوا . ابوا الا ان يفرضوا علينا منطقهم والا ان يحملونا على اعتبار عدوهم عدونا ، على ان يبقى عدونا صديقهم وحبيبهم فأي عاقل منصف في الدنيا كلها يسلم بهذا المنطق التحكمي الاعوج واي عاقل عزيز حر يحترم نفسه يرضى به ؟

هذا هو الواقع المؤلم، ولا تلتفتوا الى ما يقال ويشاع ، ويخالف هذه الحقيقة الواقعة مهما يكن من مكابرة المكابرين وتضليل المضللين وخداع المخادعين . وقفنا عند هذه النقطة ومنها افترقنا ... ولا ننسى انهم كانوا طلعوا علينا بالبيان الثلاثي المعروف في شهر ايار من سنة ١٩٥٠ الذي يقضي بابقاء الحدود القائمة في ارضنا العربية على حالها — اي كما ارادوها هم — يريدون بذلك المحافظة على الدولة اليهودية كما رسموا خريطتها . ويريدون ان لا تكون قضية اسرائيل ، وهي في نظرنا قضية مفتعلة باطلة ، موضع اخذ ورد .

وها هم قد اعدوا لنا رواية جديدة بطلها السيد نوري السعيد السياسي المعروف ، اعدت كما يظهر في لندن مهبط وحيه ، يوم جاءها لآخر مرة ومن هناك سافر الى انقره فدبر مع ساسة الترك ورتب . حتى اذا عاد الى العراق عطل الحريات العامة والخاصة وبين ليلة وضحاها جاء مندريس وصحبه الى بغداد فاتفقوا مع السيد السعيد على اسس الحلف على ان يوقعوه فيما بعد ، ومر مندريس ومن معه بلبنان فحاولوا جهدهم جر الحكومة اللبنانية الى الحلف ، فلم يوفقوا الى ما يريدون واملي ان لا يوفقوا ابداً ، وما كاد مندريس يصل الى انقرة حتى عاد ادراجه الى بغداد فوقع الاتفاق مع صاحبه السعيد ، واقره مجلسه النيابي ، وابرمه الملك ، ثم نشطت الدسائس لتفكيك الدول العربية وتعميق الهوة التي تفصل بعضها عن البعض الآخر ، فقام لبنان بدور الوسيط لتقريب وجهات النظر وجمع الشمل وبدأ الضغط شمالا وجنوباً ، ولا ندري الى متى يقوم لبنان بهذا الدور ومتى تنتهي هذه المأساة .

وليست المرة الاولى يقوم بها لبنان بدور الوسيط ، ففي اوائل سنة ١٩٥٣ هيئت الاسباب لزيارة لبناني كبير المملكة العربية السعودية ، وكان الغرض من هذه الزيارة في الظاهر الرغبة في التعاون والبحث في قضية فلسطين، والواقع ان الغرض الحقيقي كان المحاولة لازالة ما هناك من سوء تفاهم بين العائلتين السعودية والهاشمية ، اعتقاداً من اللبناني الكبير ان سوء التفاهم هذا هو السبب الرئيسي للخلاف الواقع بين العرب . وسافر اللبناني الكبير الى الرياض فاستقبل استقبالاً يليق بمقامه وبمكانة لبنان في نفوس السعوديين،وبعد التعارف وما يعقبه عادة من مجاملات في مثل هذه الحال ، اختلى المغفور له الملك عبد العزيز باللبناني الكبير وكان لي الشرف بان اكون ثالث اثنين في تلك الخلوة ، وها انا ذا اعود الى ما دونته في مذكراتي بهذا الشأن ، بعد تلك الخلوة :

اختلى الرجلان بعد مأدبة العشاء التي اقامهـــا اللبناني الكبير في مقرة بدار الضيافة وبدأ حديثه قائلا : جئنا يا جلالة الملك للتعرف اليكم وتداول شؤون العرب معكم وما يعود عليهم بالخير والبركة . قال الملك : اهلاً بك ، انت في بلادك بين اهلك واخوانك ، واني والله يسرني البحث في كل امر يعود على العرب بالخير والبركة ، تفضل .

ـ يا جلالة الملك،ان الخلاف القائم بينكم وبين العائلة الهاشمية ليس فيه مصلحة للعرب ، ولا يجوز ان يدوم ومن الواجب على كل عربي يستطيع ان يسعى لحسمه واحلال الاتفاق والصداقة في محله ان يعمل جاهداً على ذلك . ان مصلحة العرب تقضي بأن يزول كل خلاف قد يكون بين ملوكهم ورؤسائهم لكي تنصرف الجهود كلها في سبيل خير العرب العام ، والمحافظة على سيادتهم واستقلالهـــم ، وانقاذ فلسطين من الصهيونية التي تهدد الاقطار العربية كلها على السواء . »

قال الملك : اسمع يا اخي ، سأعطيك ما عندي بكل صراحة . اني ، والله، لا احمل في صدري اي حقد او ضغينة لاي عربي ولله الحمد . وقد توسلت بكل وسيلة للتدليل على حسن نيتي ، ورغبتي الصادقة في ازالة كل اثر يمكن ان يكون قائماً لسوء التفاهم في نفوسهم . وهذا نوري كان يوماً من الايام واسطة بيني وبينهم . اسمع ، يا اخي ، ان كانت وجهة نظر الجماعة ان لا صداقة ولا تفاهـــم ـــ الا باستيلائهم على الحجاز فهذا هو الحجاز امامهم فليتفضلوا ويستولوا عليـــه اذا كان

ذلك في امكانهم. ونحن لم نستول على الحجاز ، يا اخي ، الا مكرهين، لقد منعوا الحج على اهل نجد ، والحج يا اخي فريضة دينية رئيسية على كل مسلم ، لا يجوز قطعاً اغفالها . وقد ضج اهل نجد من الدسائس التي كانت تحاك ضدهم ، فكان ما كان ، ولهذه القضايا شرح طويل ليس هذا وقته ولا مقامه . اقول هـــذا والله المستعان . اما ما عدا هذا ، اذا كان لهم ما يأخذونه علي فليقولوا ، فليدلوني على حادثه واحدة اسأت بها اليهم ، واني لافتح قلبي لكل مسعى يقوم به اي عربي في سبيل الخير وفي سبيل توحيد الصفوف وارتضي حكماً بيني وبينهم اي عربي مخلص . لا اقول هذا خشية ورهبة . لا والله . فاني لا اخاف الاّ الحي القيوم . واقوله رغبة في التصافي والود وتوحيد الصفوف. ليس لي اي مطمع في ضم بلد الى بلادي ولا في حكم شعب غير شعبي . احب الخير لجميـــع العرب ، واتمنى ان تكون البلاد العربية كلها مستقلة استقلالاً تاماً بحدودها القائمة ، لا يتعدى فريق على فريق ، ولا يكيد فريق لفريق ، ولا يستعدي فريق الاجنبي على فريق ، هذا ما اريده وهذا ما اعاهد الله عليه .

اما قضية فلسطين فهي التي تقض مضجعي ، وعلى كل حال فاني اتمنى ان يوحد العرب جهودهم في سبيل هذه القضية لكي يمحوا وصمة العار عن جبينهم . وسأعمل بعون الله ما يوحيه علي ديني وعروبتي .

فقال اللبناني الكبير : هل يسمح جلالة الاخ ان اكون الواسطة في ازالـــة سوء التفاهم بينكم وبين الهاشميين . قال الملك : اسمع ، يا اخي ، واعطني يدك. اعاهدك عهد الله باني لست ارضى فقط ان تكونوا الواسطة بل ارضى ايضاً ان تكونوا الحكم ، وهذا ختمي اضعه على ورقة بيضاء واسلمك اياها ، واملأها بما تريد وانا اقبل ، فهل لك علي بعد هذا شيء ؟

فطفح وجه اللبناني الكبير بشراً وقال : انا متشكر ، يا صاحب الجلالة ، وفخور بهذه الثقة وسأعمل ان شاء الله جاهداً في هذا السبيل .

قال الملك : وانا اسأل الله لك التوفيق .

ودع الكبير الملك وذهبنا الى الغرفة الخاصة وقال لي اللبناني الكبير : حقاً ان هذا الرجل عظيم ، واني لمسرور جداً بهذه المهمة . فقلت له : للتأكد مما انت قادم عليه ، من الخير ان تجتمع بوليّ العهد (جلالة الملك سعود اليوم) ـ وكان

يومئذ في الظهران ـ وتحدثه فيما قاله الملك . وذهبت مع اللبناني الكبير الى الظهران فكان له فيها استقبال عظيم وقد اسعدني الحظ بأن حضرت جلسة الظهران كما حضرت جلسة الرياض وسمعنا من ولي العهد (جلالة الملك سعود) ما سمعناه من جلالة الملك ابيه الجليل .

وقد دعا اللبناني الكبير ، المغفور له الملك عبد العزيز لزيارة لبنان فاعتذر لحالته الصحية وكان هذا طبيعياً واذن لولي العهد بهذه الزيارة .

قبل ولي العهد (جلالة الملك سعود اليوم) الدعوة لزيارة لبنان وعاد الكبير اللبناني الى بيروت يملأ نفسه امل مجنح ، ثم سافر الى بغداد ولدى عودته سألته عن نتيجة مسعاه الكريم فاسر الي بكلمة اردفها بقوله «ومع ذلك لم اقطع الامل» .

ولا تزال هذه الكلمة سراً في نفسي ولن ابوح بهذا السر ما دام للامل في نفسي متنفس ارجو ان يتحقق منه في المستقبل غير البعيد .

وزار ولي العهد (جلالة الملك اليوم) لبنان في نيسان سنة ١٩٥٣ وكان موعد تتويج جلالة الملك فيصل الثاني في بغداد غدا قريباً فرأى اللبناني الكبير في هذه المناسبة مدخلاً خيراً ، وتقبل ولي العهد (جلالة الملك سعود اليوم) فكرة اللبناني الكبير في حضوره حفلة التتويج ، بغبطة صادقة ، واريحية عربية ، يتجسد فيها النبل والكرم ، ووجه البلاط العراقي من ناحيته الدعوة الى ولي العهد سعود لحضور الحفلة . وبعد عودته من بيروت الى الرياض غادرها الى بغداد وشهد حفلة التتويج واقتصرت الزيارة على ما علمت على المجاملة فقط ، فلا احاديث ولا ابحاث من الجانب العراقي ، وكان المنتظر غير مجرد المجاملات .

واختار الله الملك عبد العزيز الى جواره وبويع الملك سعود بالملك وبعثت البلاد العربية وفودها معزية مهنئة ، على ان العراق وحده اكتفى بأن يمثله وزيره المفوض في هذا الشأن الخطير .

ثم كانت زيارة جلالة الملك فيصل لبيروت في العام المنصرم وتخللها احاديث ومساع كريمة لم تبد نتيجتها بعد ونرجو ان تكون نتيجة تنتفع بها الامة العربية قاطبة ، فانها لفي حاجة ملحة الى توحيد الصفوف وتوحيد القلوب .

هذا هو المسعى الاول في سبيل التقريب بين العرب يقوم به لبنان . وارجو ان يكون مسعاه الثاني ابعد تأثيراً واكثر توفيقاً .

وقد يظن البعض ان قضية اليوم قضية خلاف قائم بين العراق ومصر ، او بين السعودية والعراق او بين العراق وسوريا . كلا ، ايها السيدات والسادة ، ان القضية اكبر من ذلك واخطر ، انها قائمة بين مبدأين :

المبدأ الاول ، وقد اعتنقته حكومة العراق ، وهو القائل بالاتفاق مع الغرب بواسطة تركيا بدون قيد او شرط وقد تم .

والمبدأ الآخر ، وقد اعتنقته اكثرية الحكومات العربية واكثرية الشعوب العربية ومنها الشعب العربي العراقي وهو القائل بعدم الاتفاق مع الغرب اتفاقاً نعقده مرغمين ونوقعه مكرهين لا يضمن لنا مصلحة ولا يحقق لنا مطمعاً قومياً ، واننا انما نقبل باتفاق سليم صريح ليس فيه غموض ولا اعوجاج ولا لف ولا دوران ولا فرض ولا ارغام ، ولا واسطة ولا وسيط ، يتمشى مع مصلحتنا العربية العامة وتصان فيه مع حقوقنا كرامتنا القومية الغالية ويقوم على الاسس التالية :

اولاً ــ تصفية المشاكل القائمة بيننا وبين الغرب تصفية عامة شاملة عادلة واضحة على غير الطريقة السرية المكيافيلية ، وفي رأس هذه المشاكل مشكلة فلسطين .

ثانياً ــ اعتبار جامعة الدول العربية مؤسسة اقليمية بحق مثل اية مؤسسة اخرى من هذا النوع معترف بها في هيئة الامم المتحدة ، واعتبارنا فريقاً نداً له (للغرب) نتعاون في نطاق المصالح القومية المختلفة المتشابكة من اجل حرية الانسان كانسان وحق الانسان كانسان ومن اجل السلام العالمي الحقيقي العام الشامل .

هذا هو القسم المعجل من «المهر» ان صح التعبير ، الذي نطلبه للاتفاق ، فاذا انتم سلمتم به سراً وعلانية بما لا يترك اقل سبيل للريبة والشك فهذه قلوبنا وايدينا وسواعدنا ، لا نخلف وعداً ولا ننقض عهداً ، او لا فانتم وما تشاؤون . اننا نعلم انكم اكثر منا عدداً واوفر قوة : مدافع دبابات طيارات وقنابل ذرية ايضاً تستطيعون ان تستولوا على مواردنا وعلى ارضنا ولكنكم لن تستطيعوا الاستيلاء على قلوبنا وعلى كرامتنا ، فان في نفوسنا لقوة لا تنثني ولا تنحني الا امام قوة الله الحي القيوم !

وكلمة ، بعد ، اوجهها الى حكومتنا اللبنانية الكريمة : ان المساعي الصالحة في

سبيل تقريب وجهات النظر وجمع الكلمة امر ضروري وجميل . ولكن اجمل منه واكثر ضرورة في النهاية اتخاذ الموقف الحاسم الصريح والنزول على رغبات الشعب التي تعلمون في قرارة نفوسكم انها حق وانه لمن الحكمة ومن الانصاف ايضاً ان نعترف بأن ما تريده الشعوب هو حق .

وختاماً ، ايها السيدات والسادة ، تجول في نفسي خاطرتان اضافيتان اود لو انهي مساراتي الليلة اليكم بهما . ولا بدّ من التأكيد هنا بأن ، على اساس هاتين الخاطرتين، ايماناً عندي وطيداً بهذا الوطن الذي نعيش تحت سمائه . فلبنان في نظري هو كالملح في هذا الشرق وفي مجموعة الدول العربية ، فاذا فسد الملح بماذا يملح ؟ هذا هو احساسي واعتقادي واني ادعو كل عربي مخلص للقضية العربية المثلى ان يعمل على هذا الاساس من التفكير لانه وحده يقضي قضاء تاماً على احتمال صيرورة لبنان مقراً او ممراً للاستعمار .

وبعد ، ان الخاطرة الاولى تدور حول الالفة ، بين المواطنين اللبنانيين ، جميع المواطنين اللبنانيين . وخذوه مني قولاً مسؤولاً : ما دامت هذه الالفة مستحكمة بين ابناء هذا الوطن فانه يتمتع بجميع المعطيات الاخرى التي تضمن سيادة بلاد واستقلالها . فالى العمل على هذه الالفة ، يا عقلاء لبنان ، الى تثبيتها في جميع القلوب والاذهان وانتصحوا بما قاله يوماً المغفور له عبد العزيز آل سعود لمغفور له آخر رياض الصلح ولاعضاء الوفد اللبناني الذي كان يرئسه اذ ذاك في حضرة جلالته ، قال : «مثلكم في لبنان مثل اخوين ورثا عن والدهما داراً تأويهما فان لم يصلحا دائماً من شأن هذه الدار ويرعيا ترميمها رعاية تامة ويعنيا بمقوماتها انهارت فوق رأسيهما . الاخاء الصحيح والود والتعاون والاخلاص هما حياة بلادكم فكونوا على وئام لتصمدوا امام حدثان الدهر وليزدهر لبنان العزيز . »

اما الخاطرة الثانية ، فتتعلق بالشقيقة سوريا . ان سوريا تجتاز اليوم مرحلة من ادق المراحل في تاريخها السياسي ، وفي فترة عصيبة كهذه يجب على كل لبناني، مسؤولاً كان او غير مسؤول ، ان يتناسى ما يفرق بينه وبين اخيه السوري من مشاحنات عرضية زائلة وان يجاهد لمؤازرة الاستقلال السوري جهاده لاستقلال بلاده لان الاستقلالين متمم احدهما للآخر . ان هذه الخاطرة تنطلق في نفسي

من حرصي على استقلال لبنان ذاته . وانه ليغبطني ان ارى كثيرين من مواطني اللبنانيين الذين هم على خلاف مع المسؤولين السوريين في بعض الشؤون المشتركة بين البلدين ، ان اراهم على ادراك تام لهذه الحقيقة .

ايها الحفل الكريم ،

بقلبي وعقلي حدثتكم الليلة ، فعسى ان تثير خواطري خواطر عندكم تلتقي جميعها في حقل تعميري خصب لخير لبنان والعرب اجمعين .

حسين العويني

الرئيس حسين العويني

A.U.B. LIBRARY

956.9204
A638kA
c.1

DATE DUE

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00489996
A.U.B. LIBRARY

956.9204
A638kA
c.1